

## كتب

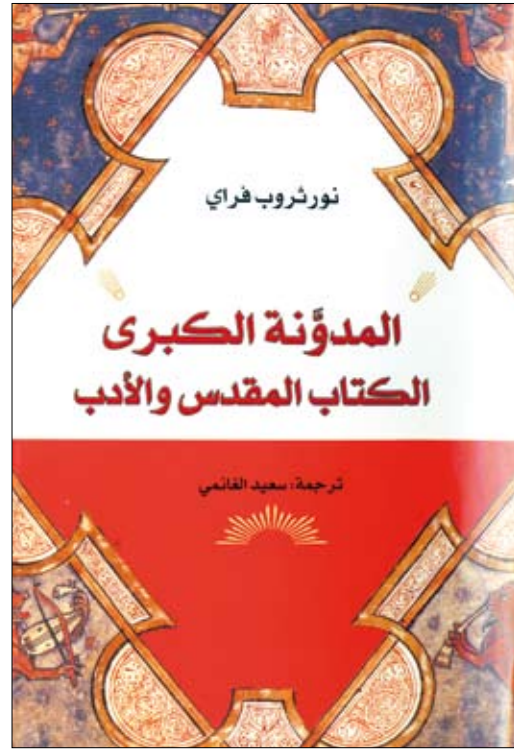
أمجد ناصر

بيار ابي صعب

ليس من السهل أن تعود إلى ديوان قرأته في ما مضى. قد تعيش مواجهة مريرة مع الذات، أو يحاصرك احساس بالعمق والخيبة. بكثير من التوجس والحذر، إذا، تمسك بالكتاب المزجج الذي أصدرته «دار النهضة» البيروتية، وعلى غلافه الأخضر العسبي اسم أمجد ناصر (1955). لكن خطوة صغيرة داخل «سُرَّ مَنْ رَأَى» (1994) تسقط أي وضعية دفاعية. هذا الشعر طازج ومدش، يؤكد مكانة صاحبه على خريطة القصيدة المعاصرة. نحن في قلب عالم حسي، مصنوع من الضوء والروائح والبياض والاثوثة والرغبة والكلمات البرية: «يا فاتقة النمش/ بدوية البرد/ باعدي قليلاً ليصل الهواء/ إلى الكماة المنبلجة/ تحت المحراث». ديوان العشق يتسع لزوار سريين كسعدي يوسف وأنسي الحاج ومحمد الماغوط، لكنه لا يشبه إلا الرجل الذي يكتب على صفحة كاملة: «قلبي يرتجف من برد قديم». صاحب «رعاة العزلة» (1986) جاء قصيدة النثر من البداوة والتفعية والعمل الفدائي وحياة المنافي، مستعياً بالحسن عن الشعور، بالأشياء العابرة عن الأفكار الكبيرة. معالجا الغربية بالشيق، مروصاً الحاضر بصفته انعكاساً طفيفاً لماض ثقيل. «محرراً الكلمات من ذاكرتها» بتعبير أدونيس. إنه «المتربص الكئيب»، يتخذ من سقوط غرناطة مجازاً لأهيار العالم، في «مرتقى الأنفاس» (1997) النصف الآخر من اصدار «النهضة» (نشرت وزارة الثقافة الأردنية أيضاً أعماله الشعرية). الندم؟ «أب يرسم أبناءه القتل أدلاء إلى التيه/ ويلوك عشياً صامتاً على رابية». كل مرّة نحتفي بهذا الشاعر الأردني «الشاب» (الوقت يمر على غفلة من الجميع!)، ثم نتركه ونعود إلى شعرنا الكبار. ربّما حان الوقت كي نعيد النظر بتصنيفاتنا.

نقد

## نور ثروب فراي: مواجهة مع الكتاب المقدس



في «المدونة الكبرى... الكتاب المقدس والأدب»، قدم الكاتب الكندي الراحل تحفة نقدية في قراءة الأسطورة وحكايات الكتاب المقدس، وعلاقة كل ذلك بالأدب واللغة من خلال سؤالين: ما الذي يعنيه الكتاب المقدس أدبياً؟ وكيف أثر في بنية الأدب؟

نوال المكي

ترامتت قراءتنا «المدونة الكبرى... الكتاب المقدس والأدب» (صدر عام 1983، ودخل أخيراً المكتبة العربية) لنور ثروب فراي، مع مشاهدة الشريط الوثائقي «التضحية» للسويدي طارق صالح. وإن لم يكن ثمة علاقة مباشرة أو واضحة بين الاثنين، فإن الإمعان في تفصيل صغير - ليس

هو موضوع الكتاب لكنه إحدى نتائج قراءته - قد يجعل المقاربة معقولة. وهذا التفصيل متعلق بما يمكن وسمه بـ«التاريخ البديل». في «التضحية»، يتتبع طارق صالح قصة سيرو بوسستوس الذي أدى دور يهوذا الإسخريوطي في حياة تشي غيفارا، كما تقول الروايات الرسمية. لكن سماع رواية بوسستوس وتتبع صدقيتها قد يعيدان كتابة سيرة غيفارا وبوسستوس، وقد يقلبان تفاصيل كثيرة في التاريخ المكتوب. كذلك يفعل الناقد الكندي الراحل في «المدونة الكبرى للكتاب المقدس» («منشورات الجمل» و«كلمة») الصادر بترجمة تسحق التقدير لسعيد الغانمي. إذ يحدث فجوة في التسليم بالكتاب المقدس كتاب تاريخي، ويسوق مثالا على ذلك «الصورة التهرجبية التي يقدمها الكتاب المقدس لـ «أخاب» و«بيت أومري» (ملكي إسرائيل)، فيما تقدم الوثائق الاثورية صورة تحيط بيت أومري بكثير من الاحترام».

وإذا كان التاريخ وتنقيحاته، واللقي الأثرية ما زالت تكشف عن روايات تناقض المكتوبة أحياناً، ألا يجدر إذاً التفكير في تلك الروايات التي لم نقرأها، أو لم نصدقها، أو لم نحفل بها لنكشف عن تاريخ بديل للعالم بفض التجمهر حول روايات الكتب السماوية المقدسة. ذلك التجمهر الذي جعلها كتباً متحرّبة، ومصادر ضعيفة للتاريخ، مثلما يصف فراي الكتاب المقدس في أحد المواضع. فإذا كان هنالك خلل ما في قراءة تاريخ العالم، فالعيب ليس في المقروء... بل في القارئ بوصفه كاتباً في هذه الحالة.

وليس هذا التفصيل سوى جزئية صغيرة ضمن شروح طويلة لفراي عن أطوار تحوّل اللغة، وهو - كما سبق أن قلنا - ليس ثيمة الكتاب الأساسية التي يمكن صياغتها بسؤالين: ما الذي يعنيه الكتاب المقدس أدبياً؟ وكيف أثر في بنية الأدب؟

وبغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف مع ما يراه المؤلف، من أن قراءة الأدب الغربي لا تصحّ أو لا تستوي من دون قراءة الكتاب المقدس الذي أعمل تأثيراً في الخيال الغربي كله - والتساؤل إن كان يمكن تطبيق هذا على علاقة النص القرآني بالأدب العربي مثلاً - فقد قدم فراي تحفة نقدية في قراءة الأسطورة وحكايات الكتاب المقدس وعلاقة ذلك بالأدب وتطور استعمال اللغة، ولا سيما وقد كرّس «المدونة الكبرى» جزءاً كبيراً منه لنقد الصورة الفنية وبنية السرد في الكتاب المقدس. وفي الحقيقة إن الكتاب قد يستفز أحدهم لشدة ما يعامل النص بتجريد، غير أن هذه السمة نفسها هي ما تمنحه

وبالعودة إلى لغة الكتاب المقدس التي استندت إلى «الترجمة اليونانية السبعينية عند الإحالة على العهد القديم» كما يشير فراي - فضلاً عن أن الترجمة الفالغية ظلت تمثل الكتاب المقدس في أوروبا الغربية ألف سنة - يرى فراي أن لغة الكتاب المقدس كتبت بتركيز كالذي يوجد في الشعر. ولذلك فهو يرتبط بشروط لغته، على عكس القرآن المستند إلى العربية أصلاً ومنطقاً والشروح التلمودية والكاباله المستندة إلى النص العبراني للعهد القديم. فهل يعني هذا اعتبار النص المترجم للكتاب المقدس نسخة من الدرجة الثانية؟ أحد الأسئلة الكبيرة التي يبحث فيها الكتاب.

ويذهب فراي إلى البحث في الاندماج الكبير بين الأدب الكلاسيكي وزمن المسيح، منذ فيرجيل وأوفيد مروراً بالكوميديا الإلهية... وحتى «الرجل الذي مات» لـ دي. إتش لورنس، وانتهاءً بـ«رؤيا» لوليم بتلر بيتس. وعلى رغم أنه كتاب يمثل حلقة أساسية في طريقة فراي النقدية، فإنه لا يدعي أنه دراسة أكاديمية، وليس هو بعمل لاهوتي من جهة أخرى. إنه كما يقول صاحبه، مواجهة الشخصية مع الكتاب المقدس.

حيويته ككتاب في النقد يقترح نمطاً جديداً لقراءة الأدب، يُسبغ عليه ربط النصوص المقدسة بالأساطير ومجازات اللغة لذة ذهنية يمنحها الكاتب بسخاء لقارئه. سمة معروفة عن صاحب «تشریح النقد» الكتاب الذي قدم فراي إلى القارئ العربي من قبل.

ينقسم الكتاب إلى جزئين رئيسيين. يعرض فراي في الأول نظريته عن تطور اللغة ثم الأسطورة المنقولة على لسان هذه اللغة وينتهي بالبحث في التخميط اللغوي. ويعود ليقلب الحال في الجزء الثاني من الكتاب، فيبدأ الناقد من حيث انتهى، أي من التخميط فالمرحلة الاستعارية وصولاً إلى اللغة، مطلقاً على طريقته

هذه الأسلوب «المرأوي». ويجمل فراي مراحل اللغة بثلاثة أطوار، يتمثل الأول في الطور الاستعاري فالكنائي ثم الوصفي. ويخص بالتفصيل المرحلة الأولى التي قامت عليها لغة المجتمعات القديمة. إذ تنتفي المسافة بين الكلمة وما تدل عليه، ويلتحم فيها الدال بالمدلول. وبهذه اللغة، كتبت الأساطير والكتاب المقدس، فإذا كانت كلمة Kairos لدى هوميروس تعني لحظة زمنية فاصلة، فإن معناها الحرفي هو التلم في القوس. وهذا يعني، من وجهة نظر نقدية، أنه بينما لم تكن المفاهيم استعارية عند هوميروس، هي كذلك بالنسبة إلينا.

وبالعودة إلى لغة الكتاب المقدس التي استندت إلى «الترجمة اليونانية السبعينية عند الإحالة على العهد القديم» كما يشير فراي - فضلاً عن أن الترجمة الفالغية ظلت تمثل الكتاب المقدس في أوروبا الغربية ألف سنة - يرى فراي أن لغة الكتاب المقدس كتبت بتركيز كالذي يوجد في الشعر. ولذلك فهو يرتبط بشروط لغته، على عكس القرآن المستند إلى العربية أصلاً ومنطقاً والشروح التلمودية والكاباله المستندة إلى النص العبراني للعهد القديم. فهل يعني هذا اعتبار النص المترجم للكتاب المقدس نسخة من الدرجة الثانية؟ أحد الأسئلة الكبيرة التي يبحث فيها الكتاب.

ويذهب فراي إلى البحث في الاندماج الكبير بين الأدب الكلاسيكي وزمن المسيح، منذ فيرجيل وأوفيد مروراً بالكوميديا الإلهية... وحتى «الرجل الذي مات» لـ دي. إتش لورنس، وانتهاءً بـ«رؤيا» لوليم بتلر بيتس. وعلى رغم أنه كتاب يمثل حلقة أساسية في طريقة فراي النقدية، فإنه لا يدعي أنه دراسة أكاديمية، وليس هو بعمل لاهوتي من جهة أخرى. إنه كما يقول صاحبه، مواجهة الشخصية مع الكتاب المقدس.

## شعر

## عبد الزهرة زكي: قصيدة عراقية بامتياز

حسين بن حمزة

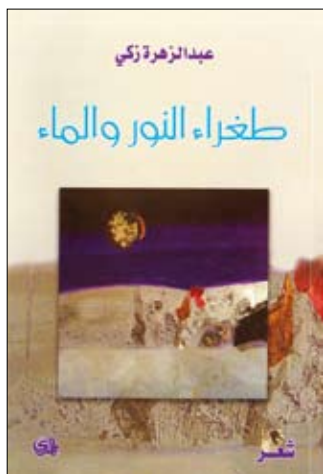
نقرأ مجموعة «طغراء النور والماء» (دار المدى) للشاعر العراقي عبد الزهرة زكي، فننتبه بسرعة إلى أننا في صدد شعر مفارق لما نقرأه هذه الأيام. ليس هذا حكم قيمة بالطبع. القصد أن ما نقرأه يُرينا مناخات ومذاقات غير متوافرة بكثرة في ما يُقبل الشبان الجدد على كتابته. ثمة أسباب عديدة يمكن سوقها للدلالة على هذه المفارقة التي يُشعرنا بها ديوان هذا الشاعر. لعل أول الأسباب يتمثل في كون عبد الزهرة شاعراً عراقياً. لا نبالغ إذا قلنا إن ثمة تقاليد ومعايير واشتراطات خاصة تحكم الشعر العراقي وتسود فيه، وهي تقاليد أكثر قسوة وتطلباً مما هو سائد في شعر بلدان عربية أخرى، وخصوصاً في المراكز التقليدية: بيروت ودمشق والقاهرة. وإذا أخذنا القصيدة اليومية كمثل

مفرد في انتشاره، بل في تفشيته، في «الشعريات» العربية اليوم، فسندج أن الشعر العراقي هو أقل هذه الشعريات انهماماً وهجساً بهذا النوع من الكتابة. الحقل المعجمي والبلاغي والتخييلي العراقي يعمل ضد اليوم الذي تقوم نماذج كثيرة منه على إدارة الظهر للجملة العربية الفصيحة، فضلاً عن أن بعض التجارب الجديدة تفعل ذلك لقلّة موهبة ونقص في التربية اللغوية والإيقاعية. الشعر العراقي متين عادة، وتربض تحت أغلب نصوصه ثقافة تاريخية وإيقاعية ومعجمية قوية. هذا لا يعني أن يكون الشاعر العراقي متفوقاً على أقرانه العرب، ولا يعني كذلك أن تجربة عبد الزهرة زكي قادرة، وحدها، على تمثيل الفكرة التي نطرحها، ولكنها تقدم فرصة لذلك.

تتضمن المجموعة، وهي الرابعة للشاعر، قصيدة طويلة بعنوان «نهار

عباسي»، وأخرى أطول موزعة على مقاطع منفصلة - متصلة بعنوان «رواية الهدهد». من العنوانين، يُستشف جزء من الثقافة التي قلنا إنها تربض تحت النص الشعري. صفة «عباسي» تسحب القصيدة من التداول الراهن، وتغسها في التاريخ، إذ نجد ذكراً لـ«عقيق أزرق من بخارى» و«كلام من عمر بن أبي ربيعة» و«شاعر من شيران» و«تاجر من أنطاكية» و«عبيد من زنجبار»... حيث «غلام عرّ/ كان قد فتق بوردة / سقطت/ تحت قدميك/ من حاشية ثوبك/ فأكلها».

القصد أن العنوان يعقد صلاتٍ طبيعية مع مكونات وجغرافيا وتواريخ، والشواهد السابقة ترد في قصيدة حب، وكان في الإمكان كتابتها ببساطة على خشبة اليومى الجاهزة، ولكنها منجزة هنا على خشبة أخرى أكثر تعقيداً وتشعباً. هذا لا يعني أنها، أوتوماتيكياً،



أفضل من اليومي، بل هي مناسبة لتذكيرنا بشعر مفارق ومختلف.

يدني عبد الزهرة زكي قصيدته وفق تقنيات وممارسات تضمن عبورها إلى القارئ مع حمولة بلاغية وفلسفية وصوفية وتاريخية. يقول لنا الشاعر إنه ابن شعر سابق وتراث قديم. الاستعارات المتحصلة تشبه المكونات التي استخدمت في إنجازها. القصد أننا لا نجد سعياً حثيثاً إلى ابتكار صور مفاجئة بُثت أو يستعرض فيها الشاعر براعته. ما يحدث في القصيدة أهدأ من هذا. لنقرأ: «ستمُر بي /... قال الفقير/ نئاب كثيرة/ ستمُر بي/ ذئاب أطعمتها/ وترفتت بها/ وتركت لها الطريدة والنع/ ستمُر بي/ وتاخذي إليها/ بضرية واحدة شديدة الوقع/ ضوعاً شحيحاً أخفيته في قلبي/ ستمُر بي/ قال الفقير/ نئاب كثيرة/ وقد استبدت بها غريزة النهش».

حقل معجمي  
وبلاغي وتخييلي  
يعمل ضد اليومي